

See discussions, stats, and author profiles for this publication at: <https://www.researchgate.net/publication/347519702>

الحجاج عند الطفيليين

Book · December 2020

CITATIONS

0

READS

74

1 author:



Ahmed Elwany
Sohar University

42 PUBLICATIONS 0 CITATIONS

SEE PROFILE

Some of the authors of this publication are also working on these related projects:



الرواية الإماراتية، فلسفة السرد، فتحية النمر، دلالات الأسماء، رسم الشخصيات [View project](#)



مواقع التواصل الاجتماعي [View project](#)

د. أحمد علواني

الحجاج عند الطفيليين



الشويعر

د. أحمد علواني

الحجاج عند الطفيليين



الكتاب: الحجاج عند الطفيليين
المؤلف: د. أحمد علواني

عدد الصفحات: 216 صفحة

الترقيم الدولي: 3-3-03-6483-977-978

رقم الإيداع: 2014/15507

الطبعة الأولى: 2015

جميع الحقوق محفوظة ©

الناشر:

 دار التنوير للطباعة والنشر

مصر: القاهرة-وسط البلد -19 عبد السلام عارف (البستان سابقاً)-الدور 8-شقة 82

هاتف: 0020223921332

بريد إلكتروني: cairo@dar-altanweer.com

لبنان:

بيروت - الجناح - مقابل السلطان ابراهيم

سنتر حيدر التجاري - الطابق الثاني - هاتف وفاكس: 009611843340

بريد إلكتروني: darattanweer@gmail.com

تونس:

24، نهج سعيد أبو بكر - 1001 تونس

هاتف وفاكس: 0021670315690

بريد إلكتروني: tunis@dar-altanweer.com

موقع إلكتروني: www.dar-altanweer.com

الإهداء

إلى من يشرقون، فيرسلون النور، ويبعثون الأمل:

زوجتي..

ابني..

ابنتي..

حبًا وحنانًا.. وفاءً وعرفانًا

أحمد علواني

استهلال

قال الأصمعي: رأيتُ أعرابياً ممسكاً بأستار الكعبة وهو يقول: «اللهم
أمتني مِيتَةَ أَبِي خَارِجَةَ».
فقلت له: يرحمك الله، وكيف ماتَ أبو خارِجَةَ؟
قال: أكل حتى امتلأ، وشرب، ونام في الشمس، فماتَ شبعان رِيَّان
دفنان.

طَفَيْلِي يَرَى التَّطْفِيلَ دِينًا وَقُرَّةَ عَيْنِهِ عَشِيَانُ عُرْسِ
إِذَا قَبِضَتْ يَدَاهُ عَلَى رَغِيفِ يُقَسِّمُ نَهْبَهُ بِيَدِ وَضِرْسِ
(الطفيليون.. قبسٌ من أخبارهم وأشعارهم)

مقدمة

في البدء

سنشتغل في هذا الكتاب على نصوص سردية تراثية، إنها أخبار الطفيليين المتناثرة في كتب التراث العربي، وسنحاول جمعها، وترتيبها، ودراستها؛ للكشف عن جمالياتها السردية، وتحليل أنساقها الخطابية، ومناقشة أبعادها الحجاجية، وذلك في محاولة لإثبات فاعلية النص التراثي وقابليته للدرس النقدي وما فيه من إجراءات تطبيقية تجلّت في: تفكيك وتفكير، ونقد وتحليل، وخطابية وإقناعية. وبعيداً عن الإسهاب نحن بإزاء الولوج إلى أخبار إنسانية عن نماذج بشرية، تفضح - بتفيلها - رجالاً يمتلكون الطعام؛ وآخرين سيطلقون عليهم لأنهم لا يجدون ما يأكلونه.

في الأخبار التي سنلج إليها سيحتال الطفيلي للولوج إلى موائد الأغنياء العامرة بالطعام، والحجاج هو أنسب أساليب المواجهة بين فقير يطفل، وغنيّ يولم، سيواجه الطفيلي صاحب الوليمة مواجهة فنية، وسيعمد إلى إزعاجه بحججه، ليفضح أساليبه في المنع، ويكشف بخله أمام الشريحة الاجتماعية الإقطاعية التي ينتمي إليها، ويتفاخر أمامها، ويحتمي بها.

سيتوجّه الطفيلي نحو المناسبات الاجتماعية القائمة على إعداد

الأطعمة والمأكولات، وذلك دون الاكتراث بالقواعد المرعية من عادات وتقاليد اجتماعية، أو أنساق ثقافية. فهو يذهب إلى طعام لم يُدعَ إليه، ولعل هذا يحمل نزعة من نزعات التمرد، أو محاولة من محاولات الثورة الناعمة للتغلب على شطف العيش، ولذا سنجد الطفيلي في معظم الأخبار لن يكثر بظواهر الأمور، ولن ينشغل بسلوكه الاجتماعي الذي يبدو متنافراً مع العادات والتقاليد المألوفة، فما يهمله هو أن يأكل حتى يشبع، ويشرب حتى يرتوي، وفي سبيل ذلك يتمرد ويثور على التقاليد الاجتماعية والأنساق الثقافية، فيكسرها ولا يعتد بها، وسيحتال إذا مُنع من الدخول، وسيحتج على من يزرجه أو يذمُّ تطفله.

سيبدو الطفيلي - بوصفه الشخصية المحورية داخل الأخبار - في صراع درامي دائم، فالطفيلي يدخل في صراع مع صاحب الوليمة أو البواب، يبدأ هذا الصراع بين الرفض والقبول، أو السلب والإيجاب، أو الضعف والقوة، بمعنى أن الطفيلي يُقبل مقترباً، وصاحب الوليمة يُدبر مبتعداً، مستنكراً وجوده، لأنه لا يعلم من دعاه ليحضر فيأكل، ومن ثمَّ سيحتال الطفيلي ليصل إلى الطعام، ولن ينجح في سعيه إلا إذا امتلك بلاغة حجاجية إقناعية، تمكَّنه من التحاور مع الطرف الآخر، وسيتهي الأمر بانتصار الطفيلي، لأنه صاحب الحجّة ومالك الحيلة. وإذا جاز لنا أن نشبّه الطفيلي وصاحب الطعام بالخصمَيْن، فإن الطفيلي يتمكَّن من رد خصمه والتفوق عليه بما لديه من قدرة على الجدل، وما يمتلكه من حجة دامغة مقنعة، مؤثرة، وما يتوسَّل به من حيلة طريفة ظريفة، ومن ثمَّ يتمكَّن من تحصيل طعامه والجلوس على مائدة خصمه.

سينجح الطفيلي في مقاومة فعل المنع بالحجاج، كلِّما اعتمد في خطابه على النصوص الدينية، أو أقوال ترتبط بالأداب المرعية والأنساق

الثقافية التي تؤثر في ذهن الشخصية العربية سواء على مستوى معتقداتها أو مرجعياتها أو قناعاتها أو سلوكياتها.

سنكتشف أن أخبار الطفيليين تمثِّل وثيقة فنية لها دلالاتها الأدبية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية، والطفيلي في حجاجه واحتياله إنما يثور على المجتمع، فيخرج ليطلب حقه في العيش في قلب المجتمع، ولا عيش من دون غذاء، حيث يمثِّل الطعام قضية جوهرية مطروحة في أخبار الطفيليين، وموقف الطفيلي من الطعام هو موقف الإنسان الذي لا يجد ما يأكله، ومن هنا يرى أن حقه الطبيعي أن يأكل ليعيش، ونتيجة لذلك يطفل على غيره، وفي تطفيله لا ينفصل عن واقعه؛ بل يراقبه عن كثب، وينقده بطريقته الخاصة، ويحتال عليه بأساليبه المتنوعة، حيث يُقبل الطفيلي على الموائد والولائم - دون دعوة - في ثقة، فهو يمتلك قدرة تمكَّنه من التغلب على خصمه (صاحب الوليمة) بالحيل العجيبة، وسرعة البديهة، والذكاء الوقَّاد، وخصوبة الخيال، وبراعة التنكر والتمثيل، إلى جانب قدرته على تخدير خصمه تخديراً عقلياً، يقوم على المناظرة ومقارعة الحجّة بالحجة، ومن ثمَّ يقف عقل الخصم عاجزاً عن التفكير، وهنا سيرضخ ويذعن تاركاً الطفيلي يمر ليدخل فيأكل.

وسنكتشف تجاوب صاحب الوليمة (المتلقي) مع الطفيلي تجاوباً إيجابياً، وتجاوبه يعني ولوجه في لجة الحجاج، ويرجع ذلك إلى وجود أنساق ثقافية كامنة في الشخصية العربية، فالإنسان العربي يميل بطبعه إلى البلاغة، وتُعجبه الفصاحة، ومن ثمَّ فلا عجب أن ينصاع إلى الطفيلي الذي يمتلك الحجَّة والبيان، ويتجاوب معه، ويذعن له، إذا أعجبت حجته، أو ضحك من حيلته فهذا سيدخله إلى فضاء الطعام ليأكل كيفما شاء.

وقد يفقد الطفيلي صاحب الوليمة (المتلقي) الذي يتجاوب مع

حجاجه، فلا يجد من يقدر بلاغته البيانية وأساليبه الإقناعية، وفي هذه الحالة لن ينثني عن غايته، وهنا يستعويض عن الحجة بالقوة، ولا تعني القوة أنه سيحارب ليفرض نفسه على الطعام، ولكنه سيحتال بطرق تمثيلية أخرى، ستجدها مطروحة بين دفتي هذا الكتاب الذي يجمع أخبار الطفيليين الواردة في الكتب التراثية، ويرصد بلاغتهم الحجاجية، ويكشف عن الأنساق الخطابية والأبعاد الحجاجية، التي تبوح بها أخبار الطفيليين وأشعارهم.

الإشكالية والمنهج

يظلُّ تراثنا القصصي في حاجة دائمة إلى قراءة نصوصه السردية، قراءة نقدية عميقة من شأنها أن تكشف عن ملامح خفية تحتاج إلى بحثها وسبر أغوارها، واستخراج دلالاتها؛ بل والتفكير فيها بعمق وشمولية. وعندما ننظر في تراثنا القصصي نطالع أخبار الطفيليين، فمن يمعن النظر في مصادر الأدب العربي وكتبه في العصور المختلفة سيلحظ اهتمامًا بالغًا بالحديث عن ظاهرة التطفيل، حيث شغل الطفيليون بأخبارهم، وشعرهم، ومُلحِّهم، ونوادير كلامهم مساحة كبيرة من تراثنا. فثمة كتب تراثية جاء موضوعها قاصرًا على التطفيل، وأخبار الطفيليين، وثمة كتب أخرى عرضت لأخبار الطفيليين في باب أو فصل من فصولها.

- فأما عن الكتب الخاصة بالتطفيل وأخبار الطفيليين، فهي:

1. كتاب «الطفيليين» للجاحظ (ت 255 هـ)، والذي ورد ذكره في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي⁽¹⁾؛ ولكن الكتاب لم يصل إلينا.

(1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء - تحقيق: إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - بيروت/ لبنان - ط 1 - 1993 - ص 2119.

2. كتاب «أخبار الطفيليين» لأبي الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ)، وقد ورد ذكره في «معجم الأدباء» لياقوت الحموي⁽¹⁾؛ ولكن الكتاب لم يصل إلينا أيضًا.

3. كتاب «التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم» للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن ثابت المعروف بـ «الخطيب البغدادي» المتوفى سنة 463 هـ⁽²⁾.

4. كتاب «القول النبيل بذكر التطفيل» لـ «شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي القاهري الشافعي» (808 هـ)⁽³⁾.

- وأما عن الكتب التي خصّت التطفيل والطفيليين بباب أو فصل، فهي:

1. كتاب «العقد الفريد»، لـ «ابن عبد ربه»، حيث عقد فصلًا بعنوان: «أخبار الطفيليين»⁽⁴⁾.

2. كتاب «نثر الدرر» لـ «الآبي»، جاء الباب العاشر في «نوادير الطفيليين والأكلة»⁽⁵⁾.

- (1) ياقوت الحموي: معجم الأدباء - مرجع سابق - ج 4/ ص 1708.
(2) التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم للحافظ المؤرخ أبي بكر أحمد بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة 463 هـ - تحقيق: د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان - دار المدني - جدة - ط 1 - 1406 هـ - 1986 م.
(3) شهاب الدين أحمد بن العماد الأقفهسي القاهري الشافعي (ت 808 هـ): القول النبيل بذكر التطفيل «غرائب وطرائف الطفيليين ونواديرهم وأشعارهم» - تحقيق ودراسة مصطفى عاشور - مكتبة ابن سينا - القاهرة - ط 1 - 1989.
(4) ابن عبد ربه: العقد الفريد - تحقيق: محمد سعيد العريان - المكتبة التجارية - القاهرة - ط 2 - 1953 - ج 7 - ص ص 196 - 206.
(5) الآبي (أبو سعد منصور بن الحسين): نثر الدرر - تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة الأولى - 1424 هـ - 2004 - ج 2 - ص ص 171 - 188.

3. كتاب «زهر الآداب وثمر الألباب» لـ «الحصري القيرواني»، عقد فصلين موجزين؛ الأول بعنوان: «في التطفيل»⁽¹⁾، وتلاه الثاني وعنوانه: «ألفاظ لأهل العصر في صفة الطفيليين والأكلة وغيرهم»⁽²⁾.

4. كتاب «التذكرة الحمدونية» لـ «ابن حمدون»، جعل الباب السادس والأربعين: «في المؤاكلة والنهم والتطفل وأخبار الأكلة والمآكل»، واشتمل هذا الباب على ستة فصول، جاء الفصل الرابع: «في التطفيل وأخبار الطفيليين»⁽³⁾.

5. كتاب «الأذكياء» لـ «ابن الجوزي»، جاء الباب السابع والعشرون: «في ذكر طرف من فطن الطفيليين»⁽⁴⁾.

6. كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» عقد «النويري» فصلًا بعنوان: «ذكر ما قيل في التطفيل»⁽⁵⁾.

- (1) الحصري القيرواني (أبو اسحاق إبراهيم): زهر الآداب وثمر الألباب - تحقيق: علي محمد البجاوي - سلسلة الذخائر - العدد 216 - الهيئة العامة لقصور الثقافة - 2012 - ج 1 - ص ص 908 - 909.
(2) الحصري القيرواني (أبو اسحاق إبراهيم): زهر الآداب وثمر الألباب - مرجع سابق - ج 1 - ص 910.
(3) ابن حمدون (محمد بن الحسن بن محمد بن علي ت 459 هـ): التذكرة الحمدونية - تحقيق: إحسان عباس وبكر عباس - دار صادر - بيروت - ط 1 - 1996 - المجلد التاسع - ص ص 108 - 116.
(4) ابن الجوزي (جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ت 597 هـ): الأذكياء - تحقيق وتعليق: عادل عبد المنعم أبو العباس - مكتبة القرآن الكريم - القاهرة - 2002 - ص ص 141 - 145.
(5) النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 733 هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب - تحقيق: مفيد قميحة وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - ط 1 - 2004 - ج 3 - تح: د. حسين نور الدين - ص ص 298 / 309.

الأفهمسي»⁽¹⁾ في أواخر القرن الثامن الهجري، فكتب: «القول النبيل بذكر التطفيل».

3. وردت أخبار الطفيليين متناثرة في بطون كتب التراث، وذلك في صورة فصول أو أبواب.

ولا يمكن إنكار جهود كثير من الباحثين المعاصرين ومؤرخي الأدب في الحديث عن التطفيل والطفيليين، فقد أثار اهتمام القدماء بظاهرة التطفيل فضول الباحثين والدارسين، فانكبوا على دراسة أخبار الطفيليين بوصفها نوادير طريفة مرحة تسرد أفعالاً فكاهية، تثير في نفس متلقيها السرور والضحك والابتهاج⁽²⁾؛ والتي تناولها كثيرون بوصفها فناً من

(1) هو شهاب الدين أحمد بن العماد الأفهمسي الشافعي (ت 808 هـ)، ولد قبل 750 هـ، وتوفي 808 هـ. وله تصانيف كثيرة نظماً ونثراً. راجع: القول النبيل بذكر التطفيل - مرجع سابق - ص 7.

(2) تعددت الدراسات التي تناولت أدب التطفيل من منظور القصص الفكاهي، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- إبراهيم شعلان: النوادر الشعبية المصرية «دراسة تاريخية اجتماعية أدبية» - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ج 1 - 2012 - ص 75.

ب- د. مزاحم مطر حسين: أدب الطفيليين التأصيل والخصائص العامة - مجلة مركز دراسات الكوفة - العدد 18 - جامعة الكوفة - 2010 - ص 63 / 85.

ج- د. محسن جاسم الموسوي: سرديات العصر العربي الإسلامي - المركز الثقافي العربي - بيروت/ لبنان - ط 1 - 1997.

د- د. محمد رجب النجار: التراث القصصي في الأدب العربي «مقاربات سوسيو - سردية» - المجلد الأول - ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع - الكويت - ط 1 - 1995 - ص 655 - 711.

هـ- د. محمد عبد الرحمن الربيع: نوادر البخلاء «نصوص ودراسة» - دار الشروق - القاهرة - ط 1 - 1999.

و- علاء عبد المنعم: أخبار الطفيليين - دراسة في بناء الحكاية والمنظور - مخطوط - دكتوراه - كلية الألسن - جامعة عين شمس - 2007.

ز- علاء عبد المنعم: بلاغة الضحك في تراثنا القصصي - قراءة في الدور =

7. كتاب «فص الخواتم فيما قيل في الولاتم» لـ «ابن طولون»، تحدّث حديثاً موجزاً عن «التطفيل والطفيليين»⁽¹⁾.

8. كتاب «المؤاكلة» لـ «الغزي»، وهو كتاب صغير الحجم، وفيه ذكر «الغزي» واحداً وثمانين عيياً، من علمها كان خبيراً بأداب المؤاكلة، ومن ضمن هذه العيوب كان التطفيل، فذكر الطفيلي، وحكى عن نوادر الطفيلية واصطلاحاتهم في أسماء الأطعمة⁽²⁾.

إذن، لقد صار للطفيليين أدبهم وتميزوا بحيلهم، ووجدوا من يُعجب بطرفهم، فيروي أخبارهم، وينشد أشعارهم؛ بل ويؤلف عنهم الكتب. ومن خلال ما سبق عرضه، نستنتج ما يلي:

1. لم يصل إلينا كتابان عن التطفيل وأخبار الطفيليين، هما: «التطفيل» للجاحظ، و«أخبار الطفيليين» للأصفهاني.

2. وصل إلينا كتابان بارزان عن التطفيل وأخبار الطفيليين؛ حيث كتب «الخطيب البغدادي»⁽³⁾ كتابه «التطفيل وحكايات

الطفيليين وأخبارهم ونوادير كلامهم وأشعارهم»، وذلك في القرن الخامس الهجري. وجاء بعده «أحمد بن العماد

(1) ابن طولون (شمس الدين محمد بن علي الدمشقي): فص الخواتم فيما قيل في الولاتم - تحقيق: نزار أباطة - دار الفكر - دمشق - ط 1 - 1983 - ص 87 / 89.

(2) أبو البركات الغزي: آداب المؤاكلة - نسخة بصيغة pdf على موقع مكتبة المصطفى <http://www.al-mostafa.com/> - ص 8 / 9.

(3) هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، ويكنى أبا بكر، واشتهر بـ «الخطيب البغدادي»، أحد أعلام الحفاظ ومهرة الحديث وصاحب التصانيف المنتشرة. وأشهرها (تاريخ بغداد) وغيره من المصنفات العديدة المفيدة، نحو ستين مصنفًا. راجع ترجمة المحقق للخطيب البغدادي - كتاب التطفيل - ص 13 - 23.

فنون الفكاهة، فانشغلت الدراسات بالمكوّن الهزلي الفكاهي، ووصفت هذه الحكايات بالنواتر الطريفة أو المُلح المسلية التي «تميل إلى المرح والفكاهة، وإدخال السرور على نفس السامع والقارئ»⁽¹⁾، لكن القراءة الدقيقة لهذه الأخبار - إضافة إلى الجانب الفكاهي - يكشف عن جانب بلاغي حجاجي، في حاجة إلى بحثه وسبر غوره.

تكتنز الأخبار السردية بالتقنيات الخطابية التي يوظفها السارد (المتكلم) لاستمالة المسرود له (المخاطب) وإقناعه بالقضايا المطروحة عليه، مما يؤدي إلى استمالته إليها واقتناعه بها. فإذا كانت الأخبار «في بنيتها السطحية الظاهرة تسرد حكاية، فإنها من الواضح تخدم أغراضاً بلاغية؛ وهذا التداخل بين الحجاج والسرد هو الذي يفرض على التحليل البلاغي المتكامل أن لا ينظر إليها باعتبارها سرداً خالصاً أو خطاباً حجاجياً مستقلاً؛ بل ينظر إليها في صيغتها المتداخلة بين التخييل

= الوظيفي للطرفة في أخبار الطفيليين - مجلة الرافد - الشارقة - العدد 177 - مايو 2012 - ص 55 - 61.

(1) راجع كتاب: التطفيل - ص 28. ومن الجدير بالذكر أن د. عبد الله عسيلان - وهو محقق كتاب التطفيل - يبدأ مقدمة تحقيقه ودراسته بهذا الدفاع: (يتهم بعض المغرضين أدبنا العربي زاعمين أنه أدب جاف عبوس ليس فيه نصيب للكلمة المرحّة، والنادرة الطريفة، والطرفة المسلية، والفكاهة الممتعة) - ص 5. وعلى هذا الأساس ركز الباحثون على ظاهر الأخبار وما فيها من نواتر وملح الطريفة، في حين تم إهمال الجانب البلاغي الحجاجي، الذي يقوم على المنطق والإقناع العقلي، فتتجلى قدرة الطفيلي على التفكير والاحتيايل، كما تبلور بلاغة الطفيلي في الحوار القائم بينه وبين خصمه، بمعنى أن ما يدور بين الطرفين أو الخصمين: (صاحب الطعام - الطفيلي)، نلاحظ أن كل منهما يحاول إقصاء الآخر، فصاحب الطعام يحاول أن يقضي الطفيلي بعيداً عن بيته وطعامه، والطفيلي يجتهد ليدخل البيت ويصل إلى الطعام، وفي سبيل الوصول إلى الطعام يوظف حيلته، وبلاغته، فيفكر ويحتال ويحاجج ليتنصر في نهاية الأمر.

والإقناع، أو بين الخطاب السردى والخطاب الحجاجي»⁽¹⁾. فلا تخلو أخبار الطفيليين من طرائق سردية، وبلاغة حجاجية، حيث يركز الخبر على مكونين رئيسيين هما: (السرد والحجاج).

فأمّا عن المكوّن الأول للخبر فهو (السرد)، حيث يُبنى الخبر على حكاية بسيطة تدور حول طفيلي، ويمثّل الطفيلي الشخصية المحورية؛ ولكن لن ينشغل المُخبر (الراوي) بوصف الطفيلي وتصويره خارجياً؛ بل سيركّز على قوله وفعله، فهما معاً بمثابة البؤرة المركزية للخبر المسرود، وفي هذا السياق يؤكّد «محمد القاضي» على أن الأخبار العربية تسير في سردها على غرار الأجناس القديمة والشعبية حيث «تنزع إلى تقديم الوظائف على الشخصيات، فما يُقال أهم من القائل، وما يحدث أهم من الفاعل»⁽²⁾. ومن ثم ستكوّن صورة الطفيلي في ذهن المتلقي من خلال بلاغته (قوله) وحيلته (فعله)، فعن طريقيهما سينتصر على معظم الشخصيات التي تدخل معه في صراع، وأبرز هذه الشخصيات شخصية صاحب المنزل الذي يحتال الطفيلي عليه ليدخل منزله، ثم يظفر بالأكل من طعامه.

وأما عن المكوّن الثاني للخبر فهو (الحجاج)، حيث تتوافر في السرد مقومات الحجاج، ففي السرد يوجد متكلم ومخاطب، والحجاج يعتمد على حضور الشخصيتين معاً، شخصية المتكلم (السارد) - (البات)، وشخصية المخاطب (المسرود له) - (المتلقي)، وبين الشخصيتين تدور

(1) د. محمد مشبال: البلاغة والسرد «جدل التصوير والحجاج في أخبار الجاحظ» - منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة عبد المالك السعدي - تطوان - المغرب - 2010 - ص 49 - 50.

(2) د. محمد القاضي: الخبر في الأدب العربي «دراسة في السردية العربية» - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1998 - ص 406.

عملية خطابية حجاجية، بغية إقناع أحدهما للآخر. وبحسب «محمد العبد»: «إن الحجاج جنسٌ خاص من الخطاب، يُبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات، عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطاً منطقيًا، قاصدًا إلى إقناع الآخر بصدق دعواه والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية»⁽¹⁾.

ويتجلّى الحجاج في أقوال الطفيليين ووصاياهم، كما يتبلور عبر الحوار الذي ينشأ بين الطفيلي وأحد الشخصيات التي تعيب تطفله، أو تمنعه من الدخول إلى مكان الطعام، ومن هنا يتحاور الطفيلي مع الشخصية المانعة له أو الناقدة لسلوكه، عارضًا حججه وأدلته؛ ويتميّز الطفيلي ببلاغته وقدرته على الحجاج والإقناع، ومن ثمّ فهو يحقّق الانتصار على مَنْ منعه من الدخول أو من نقد تطفله على طعام غيره.

وعلى هذا الأساس سنحلل تقنيات الخطاب وبلاغة الحجاج التي يوظّفها الطفيلي مع خصمه ليستميله أو يؤثّر فيه، ففي الأخبار يحاور الطفيلي خصمه ليقنعه بما يريد حتى يصل إلى غايته، أو يحقّق ما يريد. وسوف تساعدنا بلاغة الحجاج في تحليل عناصر الخطاب البنائية والوظيفية؛ لأن «موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم»⁽²⁾.

(1) د. محمد العبد: النص الحجاجي العربي «دراسة في وسائل الإقناع» - مجلة فصول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - العدد 60 - 2002 - ص 44.

(2) د. عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال مصنف «في الحجاج - البلاغة الجديدة» لبرلمان وتيتيكاه، والبحث منشور ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم - إشراف: حمادي صمود - كلية الآداب بمنوبة - تونس - د.ت - ص 299.

إذن تهدف هذه الدراسة إلى إعادة طرح أخبار الطفيليين ومحاولة الكشف عن جمالياتها الأدبية الخاصة، وذلك لإثبات أن النص السردي القديم لا يزال صالحًا للدرس وإعادة الطرح، ومعاودة النظر النقدي فيه، خاصة أن هذه الحكايات الطريفة لا تقتصر وظيفتها على الإمتاع والتسلية أو الترفيه وقطع وقت الفراغ؛ بل تحتوي على خطاب حجاجي إقناعي، ولذا فهي تحتاج إلى معالجتها وتحليلها، في ظل تطوّر المناهج النقدية. ورغم أن هدفنا من الدراسة يتمثّل في الكشف عن بلاغة السرد الحجاجية، إلا أن هذه الغاية النظرية لن تشغلنا عن رصد الجوانب الجمالية والاجتماعية والتاريخية لأخبار الطفيليين، فالخبر لا ينفصل عن السياق الذي صيغ فيه، كما أن بلاغة السرد وامتلاك الطفيلي للحيلة وقدرته على الحجاج لها صلة وثيقة بوضع الإنسان العربي - آنذاك - وبرصد وتحليل هذه الجوانب المختلفة لن تتحوّل الأخبار إلى مجرد شواهد مطواعة أو مجموعة من التقنيات الشكلية التي تدلّل على صحة النظرية وإمكانية تطبيقها على النصوص التراثية.

د. أحمد علواني الحجاج عند الطفيليين

طفيلي يرى التطفيل دينًا وقرة عينه غشيان عرس
إذا قبضت يده على رغيف يقسم نهبه بيد وخرس

يحتاج الطفيلي ليحصل على طعام من وليمة غني، فيعمد إلى إزعاجه بحججه ليفضح بخله في حين هو يدعي الكرم. ويستعين في ذلك بما يمتلك من بلاغة حجاجية، لينتصر، على من يمنعه من الوليمة، بالحجة والحيلة، أو بالقدرة على الجدل، أو باستخدام النصوص الدينية والأقوال المأثورة، كما يستخدم الخطابة وحركات الجسد...

في هذا الكتاب نكتشف أن أخبار الطفيليين تمثل وثيقة فنية لها دلالاتها الأدبية والاجتماعية والسياسية والثقافية، ونكتشف أن الطفيلي في حجاجه واحتياله إنما يثور على المجتمع. كما نكشف الانساق الخطابية والأبعاد الحجاجية التي تبوح بها أخبار الطفيليين وأشعارهم.

تصميم الغلاف نجاح طاهر

ISBN 978-977-6483-03-3



9 789776 483033

المنشور
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - القاهرة - تونس